الــنـزعـــة الأخلاقية الانسانية عند إيـــريك فـــروم

إعداد

أ.نادية أحمد شعبان عمارة
باحثة ماجستير
بقسم الفلسفة بكلية لآداب

أ.د. فضل الله محمد إسماعيل
أستاذ فلسفة السياسة
وعميد كلية الآداب الأسبق

جامعة دمنهور

دورية الانسانيات. كلية الآداب. جامعة دمنهور
العدد الحادى والستون - يوليو - الجزء الثانى - لسنة 2023

الـنزعــة الاخلاقية الانسانية عند إيــريك فــروم

أ.نادية أحمد شعبان عمارة
أ.د. فضل الله محمد إسماعيل

تتعدد تعريفات الحرية لكنها غير محصورة بجملة معينة أو تعريف بعينه، فهي الكلمة التي يستطيع كل إنسان الشعور بها بالممارسة العلمية في الحياة، وهي الفضاء الفسيح الذي يمكن للإنسان التحرك من خلاله دون أن يشعر بنقصان أو عيب أو اهانة، ودون أن يخدش فضاء الآخرين، حيث يقول : تنتهي حريتك عندما تبدأ حرية الآخرين، وتختلف زاوية النظر التي منها لهذا المصطلح فهي من ناحية وضعية الإنسان غير المملوك، بمعنى تحقيق وتنفيذ الفعل دون خضوع لأي تأثير سواء أكانت دوافع أو أهواء، أو شرط أو ضغط خارجي على اتخاذ قرار أو تحديد خيار من عدة إمكانيات موجودة ومن ناحية أخري تدل على الإنسان المتحرر، وبما أن الحرية تكتسب كل يوم تعريفا جديدا ومعنى جديدا بل وأبعاد جديدة تضاف جميعها إلى مفهوم الحرية و تسهم في إغنائه، فالحجرية في تطور مستمر ولا يمكن رؤيتها إلا في هذا النمو الدائم وفي الحيوية الدائمة، و لهذا لا بد من تقديم محاولة لتعريفها محاولة تبتعد ودون جبر قدر الإمكان من التعاريف الرومنطقية وتقترب من الدقة والوضوح من التعريف العلمي الموضوعي.

فهذه المحاولة تستوجب النظر إلى مفهوم الحرية في ملموسيته، أي في حركته و تطوره التاريخيين حتى ترى الحرية وهي تقدم نفسها بنفسها ففكرة الحرية تتبلور عبر العصور وذلك يجب التطرق إلى محطات مختلفة تسلسلت جراء تطورها و عليه يطرح التساؤل التالي: ما هي الحرية؟ وكيف تطورت عبر تسلسل الزمن؟ وفيما تكمل أهميتها؟

المبحث الأول : مقاربات حول مفهوم الحرية

الحرية لغة هي مصدر من حر، وهو نقيض العبد، والجمع منه حرائر، أما الحر من الناس أفضلهم وأخيرهم، والحر عند العرب هو أشرفهم، وفي اللغة العربية هو الحر" ضد العبد، والحر الكريم الخالص من الشوائب والحر من الأشياء أفضلها، والحرية من الشوائب أو الرق أو اللوم ونخرج من التعريف اللغوي أولا أن الحرية ضد العبودية، والتي تعني القسر والإكراه واستلاب بالمقدرة على المبادرة في الفعل والسلوك وفقا للإرادة الخاصة بدافع أو بآخر، وقد تعددت تعاريفها واختلفت اختلافا كبيرا، حيث ورد تعريفها في إعلان حقوق الإنسان على أنها حق الشخص في فعل مالا يضر بالأشخاص الآخرين.

ويقصد بها لالاند حرية كل فرد في اعتناق فكرا معينا واتجاه فكريا يتفق وميوله الخاصة، وأن يكون فكر كل إنسان نابعا من داخله وناتجا عن تأمله الحر في مسألة من مسائل أو

مشكلة من المشاكل التي يرغب في أن يفكر فيها دون ضغط "خارجي ويقصد بها لالاند ممارسة الفرد لكافة حقوقه السياسية في المجتمع كحق الترشح وحق الانتخاب وحق التمثيل في المجالس النيابية و في كل الأمور التي تتعلق بالسياسة و الحكم وبإدارة الدولة، كما يقصد بها لالاند غياب الإلزام الاجتماعي عن الفرد ومن ثم يستطيع الإنسان أن يفعل كل ما ليس محرما بواسطة التشريعات أو القوانين، إنها حرية الجماعات و الطبقات الاجتماعية التي يتألف منها المجتمع، وهذه الجرية تبيح القضاء على حرية طبقة من الطبقات أو استغلال طبقة لطبقات أخري طالما لم تفعل شيئا أو أشياء محرمة قانونيا، فالحرية الحرية بالمفهوم الأخلاقي وهي التي تقوم أساسا على مبدأ أو مبادئ أخلاقية يقرها عقل الإنسان وتتقبلها إرادته، وعلى هذا فالعقل الحر هو الصادر عن رؤية و تعقل وتدبر، الأخلاقية عند لالاند تقوم في الاختيار بين الخير والشر بعد رؤية أو التعقل وتدبر ومعرفة تامة بهما تعني الحرية عند الأكثرية الإمكانية الحقه لأن يتصرف وفق هواه وعلى وفق إرادته والحرية هي التحرر من القيود التي تكبل طاقات الإنسان وإنتاجه سواء كانت قيودا مادية أو قيودا معنوية، فهي تشمل التخلص من العبودية لشخص أو جماعة أو لذات، والتخلص من الضغوط المفروضة على شخص ما تنفيذ غرض ما، و التخلص من الإجبار و الفرض، فلفظ الحرية قد يوظف ويستعمل للتميز بيم من كان حرا من الولادة وبين من كان عبدا ثم اعتنق، وفي اللسان حر الرجل حرية من حرية الأصل لا حرية العنق وتدور حول الفرد وعلاقته مع غير ذاته، سواء أكان ذلك الغير فردا آخر يتحكم فيه من الخارج أو قوة طبيعية تستعيد من الداخل.

وتعني الحرية أيضا النقاء والخلوص من كل عوالق وكدورات و شوائد، قد تتلبس بماهية شيء ما فتجعله خاضعا لها، وفي هذا إيجاد تصوفي، كما هو الحال في تعريف الجرجاني للحرية، إذا يقول عنها في تعريفاته الحرية في اصطلح أهل الحقيقة : الخروج عن رق الشهوات، وحرية الخاصة عن رق المرادات لغناء إرادتهم من إدارة الحق وحرية خاصة الخاصة

أما الحرية في معانيها الاصطلاحية فهي أوسع، بسبب أنها لا تخص بالكائن البشري فحسب وإنما تتجاوزه إلى بقية الموجودات الأخرى، فمثلا .... تظهر الحرية الجسم الساقط في هبوطه إلى مركز الأرض وفقا لطبيعته بسرعة متناسب مع الزمان إلا إذا صادف في طريقه عائق يمنع سقوطه، وكذلك وظائف الحياة النباتية أو الحيوانية إذا لم يعقها عن القيم بعملها الطبيعي مانع خارجي قيل أنها حرة فمصطلح الحرية قد يفيد .... السيكولوجية،

وهي القدرة على تحقيق الفعل دون الخضوع لمؤثر خارجي، وإنما تصدر الأفعال عن المرء نفسه بحيث يشعر أن الفعل صادر عن إرادته وعلى أساسها تقوم التبعية الأخلاقية وحرية الإرادة وحرية الضمير.. [١]، فالحرية عملية مركبة، تتداخل في توليدها معطيات أساسية، تستوجب .... ثلاثة شروط في حالة يصح أن تنطبق عليها كلمة الحرية،

أولا : المعرفة الواعية [1]

ثانيا : إمكانية الاختيار، ثالثا : القدرة على تنفيذ هذا الاختيار

فالحرية من الزاوية الأخلاقية تعني الإمكانية المتاحة للإنسان في أن يوقف سير ورغباته وميوله وغرائزه ليفسح مجال حرا في النهاية لتلك التي يظهر الفحص الأمين أنها الأكثر موافقة للعقل الشامل،

فالفارق الذي يمكن أن نميز الإنسان عن الحيوان هو صدوره في ضبط رغباته وغرائزه عن منظومة قيمة عقلية، مما يرفعه إلى مستوي الكائنات المتحررة العاملة طبقا لمقتضيات العقل وليس خضوعا لأهوائه [٣].

والحرية من الزاوية الفردية، فهي تستدعي الحاجة إلى الوقوف عند المعاني النفسية الشخصية والأخلاقية التي تدور جميعها في فلك أن الإنسان له المقدرة الفعل بعد ... القدرة المطلقة على الابتداع أو المبادأة... أن المنبع الغائر للفعل هو تلك البديهية الباطنية التي في ميسورها أن تقدم على فعل أو تختاره، ثم في المقابل في متناولها ألا تفعله زيادة إلى أن المفهوم الفردي يستدعي مقدرة النفس على

توجيه البدن وقيادته و العقل على قمع الرغبات فيحجمها و يسمح لها بالانفلات المطلق [٩]

المبحث الثاني : تطور فكرة الحرية

اتخذت فكرة الحرية معاني عديدة شديدة الاختلاف على مدى التاريخ الفكر البشري، فنجد أولا عند اليونان في العصر السابق على سوقراط (٢) أن فكرة الحرية ارتبطت بفكرة المصير وبفكرة الضرورة وبفكرة الصدفة وقد تسلسل معنى حر وحرية على النحو التالي:

أ- في العصر الهوميروسي (القرن الحادي عشر قبل الميلاد كان لفظ يطلق على الإنسان الذي يعيش بين شعبه وعلى أرض وطنه دون أن يخضع لسيطرة أحد عليه وذلك في له المقابل: "أسير الحرب" الذي يعش في الغربة عبدا تحت سيطرة سيد.

ب علي العصر التالي للعصر اليوميروسي : صدارت الكلمة من لغة المدينة المدينة حرة ومن يعيش فيها غير حر، حيث يسود قانون بواق بين القوة وبين الحق مقابل الحر، حيفا ليس العبديل" الغريب أو الأجنبي، أي من ليس يونانيا، والآلهة هي التي قررت العربية، ولهذا كانت موضوعا للعيادة، وإلى جانب الكرة الحرية المدينة هذه، وجد معنى تنال عليه

الكلمة أي معنى مختار" ويقابله المضطر، وكانت تكل على العربية العربية، لكن الحر" لا يقصد به من يقبع هواء أو القانونه وتا كلمة حرة و أخر" تتخذ معنى السعيا في اللحظة التي فيها حدث التضاد بين الطبيعة وبين القانون، ويتجلى ذلك في الكرة المواسطانية، ووافقا لهذا المعنى الجديد أصبح الحر" هو من يملك ولها للطبيعة وغير المر" هو من يخضع للقانون.

ثم جاء سقراط العدل المعنى وتوفة العربية بأنها فعل الأفضل وهذا يفترض عنها معرفة ما هو السن، ولهذا الغلت الحرية معنى التصميم الأخلاقي وفقا لمعايير الغير، واعتبر سقراط أن من شروط العربية الأغالية ضبط النفس من ناحية والقص المنهجي عن الأحسن أو الغير من ناحية أخرين والهدف هو الاكتفاء الذاتي.

وعند أفلاطون لا تكاد تجد معنى الحرية المدينة ويحولها بأنها وجود الغير، والخير هو الفضيلة والخير المحض برك لذاته ولا يحتاج إلى شيء آخر ، والحر هو من يتوجه العله نحو الغير، لكنا تجد في معاوية تعليمارس يميز بين نوعين من الأسباب: الضروري والإلمي الأول هو شريط ضروري للمعرفة ولو جود الموجود، والثاني (أي المي) هو علة الوجود والخير، أما الضرورة التحدث الشر، ومع أرسطو بينا المعنى الأدق الحرية في الظهور، إذ هو يربطها بالاختيار ويقول أن الاختيار لين عن المعرفة وحدها، بل وأيضا عن الإرادة ولهذا تجده يعرف الاختيار بأنه اجتماع العقل مع الإرادة وإذا كانت الروائية قد نانت بفكرة ضرورة، ومن ثم فإنها ذهبت إلى أن العالم محكوم بقانون تامل ثابت ليس فيه استثناء، التين الأبيقورية قد ذهبت إلى القول بوجود الحرية ولكنها من نوع خاص، إنها حرية الثقة التي تعبر عن قدرة الذات على الالعراف عن الآلهة الكاملة التي تسود الكون".

ثم جاء كتاب المسيحيين قرأوا أن الحرية ليست مجرد الغلو من الشر، كما أنها ليست مجرد حرية الاختبار، كأن حرية الاختيار يمكن أن تستعمل الخير أو الكدر، يقول القديس بولس الرسول في الرسالة إلى أهل رومة : إني لست أعرف ما أنا أفعله، إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه الياء أفعل : فإن كنت أفعل ما لست أريده، فإني أصادق الناموس أنه حسن قالان لست أفعل ذلك، أنا في الخطيئة الساكنة في، فإني أعلم أنه لساكن في أي جندي شيء صالح كان الإرادة حاضرة عندي، وما أن أفعل الحسني السبت أيده، كأني لست أفعل الصالح الذي أريده بل الشر لست أريده فاياء الفعل.

أما حرية الإرادة الإنسانية فيعرفها القديس أوغسطين بأنها القدرة على قبول نصور ما أو رفضه فليست الحرية إذن القدرة على الاختبار بين الخير والشر لأن اختيار الشر نقص

ولو كان شرطا للحرية لما كان الله حرا، وكيف يكون الله حرا وهو صاحب الحرية ؟ وأول دليل كان الحرية شهادة الوجدان : إذا لم تكن الإرادة التي بها أريد ولا أريد ملكا لي، فلست أدري ما الذي أستطيع أن أقول عنه إله ملك لي أما التوفيق بين حرية الإرادة الإنسانية وعلم الله السابق يرى أو غسطين أن التجربة الشخصية تؤكد أن لدى الإنسان إرادة تدفعه نحو هذا أو ذلك ومن ناحية أخرى فإن الله يعلم أن الإنسان بإرادته هذا أو ذلك وهذا لا يستبعد أن يفعل الإنسان بإرادته واحتياره إن علم الله هكذا يرى أو غسطين لا يحيل الأفعال من حرة إلى مجبورة عليها.

وفي الإسلام أثيرت مشكلة الحرية الإرادية والجبر مبكرا في عهد الأمويين (٢) ثم صارت بعد ذلك من المشكلات الرئيسية في علم الكلام، ويمكننا أن نميز بين اتجاهات ثلاثة رئيسية : اتجاه مال إلى القول

بالقدرة أو الاختيار، بمعنى أن الإنسان قادر خالق لأفعاله أي له القدرة واستطاعة من نفسه قبل الفعل، وهؤلاء هم المعتزلة، ولقد برروا قولهم بأن الإنسان خالق لأفعاله بأن بعض الأفعال الإنسانية شر، ولما كان الله لا يصدر عنه ما هو شر، فيستحيل أن تكون الأفعال صادرة عن الله ، فهي صادرة عن الإنسان، فالإنسان على حد تعبير شيخ المعتزلة واصل بن عطاء الفاعل للخير والشر، والمجازي على فعله. وفريق آخر اتجه إلى "الجبر" ومعناه نفى الفعل على العبد وإضافته إلى الله تعالى فيصبح الإنسان في رأيهم مجبورا في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة أصلا وهؤلاء هم الجبرية وكان جهم بن صفوان (٣) من الجبرية الخالصة، فقال: إن الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات وتنتسب إليه الأفعال مجازا كما تنسب إلى الجمادات كما يقول : أثمرت الشجرة وجرى الماء، وتحرك الحجر ، وأشرقت الشمس وغربت ، واهتزت الأرض..." .

وفريق الثالث توسط بين الجبرية والقدرية، فجعل الله خالقا لأفعال الإنسان، لأن الإنسان بجميع أفعاله مخلوق الله، ولكن الإنسان مع ذلك لهو الاستطاعة يحدثها الله فيه مقارنة للفعل لا متقدمة عنه ولا متأخرة، فالإنسان عندهم مكتسب لعمله الله خالق لكسبه، وهؤلاء هم أهل السنة والجماعة ومنهم الأشعرية. وفي العصر الحديث في أوروبا دار المعنى الحرية حول معاني عديدة منها:

– الحرية هي تلك الملكية الخاصة التي تميز الكائن الناطق من حيث الوجود عاقل يصدر في أفعاله عن إرادته هو، لا عن أية إرادة أخرى غريبة عنه، فالحرية بهذا المعنى، هي انعدام القصر الخارجي، والإنسان الحر هو من لم يكن عبدا أو أسير، والحرية تدل على

العلاقة محددة فطرية أم مكتسبة للإنسان مع ذاته فعله بها يتميز هذا ومع الفعل من التصرف بحسب الهوى وبهذا المعنى تكون الحرية هي إمكانية الإرادة بمعنى معين، والحرية تدل على أساس أنتروبولوجي بمقتضاه يكون الإنسان نفسه الأصل في إرادة أو عدم إرادة كذا ، وأنها حرية الاختيار أو الحرية المتابعة .

وقد اهتم اللاهوتين في القرنيين السادس عشر والسابع عشر بمشكلة حرية الارادة اهتماما خاصا، فرأى "كالفان أن فقدان حرية الإرادة وسيطرة مبدأ السعادة هما ناموسا كل إنسان لم يتلق لطف الله وقال مولينا بحرية الاستواء ومفادها أن الحر هو من يقرر حين يعطي كل الشروط الواجب توفرها للفعل أن يفعل وألا يفعل أو أن يفعل شيء أو ينقصه، أما الفلاسفة فنجد هويز يقرر أن الحرية هي انعدام القسر، أي الظو من القهر المادي وكل فعل يتم وفقا لدوافع حتى ولو كان الدافع الخوف من الموت بعد حراء والإنسان يكون حراً بقدر ما يستطيع التحرك على طرف أكثر ، فالمواطن ليس تام الحرية و العبد ليس تام العبودية، وعند اسبينوزا" نجد نفس المفهوم للحريو وهو الخلو من القصر إذ يقول : "هذا الشيء يدعى حرا إذا كان يوجد وفقا لضرورة ماهيته وحدها، ويعين ذاته بذاته للفعل.

ووفقا لهذا التعريف فإن الله هو وحده الحر، أما الإنسان فغير حر لأن الله هو الذي يعين نفسه بنفسه، أما الإنسان فهو يضعه من الطبيعة ويتحرك بانفعالات خارجية، ومع ذلك فإن الإنسان يستطيع أن يتحرر إنا أحال أفكاره غير الواضحة إلى واضحة أحال انفعالاته إلى حب الله (1)، وجاء ليتنس" أن الحرية تكون أوفر كلما كان الفعل صادرا عن العقل، وتكون أقل كلما كان الفعل صادرا عم الانفعال، ويرى أن حرية الاستواء غير ممكنة لأنها تناقص مبدأ العلة الكافية.

يمكن أن توصف لهذا السبب بأنها مجردة عن كل القوانين، بل الأولى أن يقول إنها يجب أن تكون علية تسير في أفعالها وفقا لقوانين لا تتحول، وإن كانت هذه القوانين من نوع خاص والا لكانت الإرادة الحرة شيئا محالا أن الضرورة الطبيعية تنافر بالنسبة إلى العمال الفاعلة ذلك لأن كل معلول ليس ممكنا إلا بحسب هذا القانون الذي يقول إن شيئا آخر هو الذي يعين العلية في العلة الفاعلة، فماذا عسى أن تكون حرية الإرادة، إن لم تكن هي الاستقلال الذاتي أي الخاصية التي تتميز بها الإرادة فتجعل منها قانونا لنفسها؟ وإذن فالقضية التي تقول أن الإرادة في جميع أفعالها هي القانون الذي تصنعه لنفسها ليست إلا صيغة أخرى من المبدأ الذي يقول إن علينا ألا نفعل فعلا حتى يكون مطابقا للمسلمة التي يمكنها أن تتخذ من نفسها موضوعا يعد قانونا كليا شاملا، ولكن هذه هي على تحقيق

صيغة الأمر الأخلاقي المطلق، وعلى ذلك فالإرادة الحرة والإرادة الخاضعة لقوانين أخلاقية شيء واحد بالذات.

أن الحرية كما يراها كانط لا يمكن أن تمثل للعيان كتمثل العالم المحسوس ،له، وهذا هو السبب الذي لا تستطيع من أجله أن نصل إلى كنهها وطبيعة عن طريق المعرفة النظرية وشأن الحرية في ذلك شأن وجود الله وخلود النفس وكلية العالم التي لا يقابلها جميعا موضوع تجريبي أو عيان حسي، ولا تستطيع بالعقل النظري أن تعرف طبيعتها، وإن وجب علينا ألا ننكر وجودها، بل نفترضها كأفكار للتجربة.

وعند هيخل أن التصور المجرد للحرية هو قيام الذات بنفسها وعدم الاعتماد على الغير ونسبة الذات إلى الذات، وهذا معنى قوله : " أن الروح الحر يعرف أن موضوعه هو ذاته ويعرف أن ذاته هي من ثم، محددا تحديدا ذاتها أي أنها حرة، ولما كانت محددة تحديدا ذاتيا فإنها بذلك لا متناهية"، وإذا نظرنا إلىالمشكلة الحرية كما تفهمها الفلسفة المعاصرة ، فسنجد أنها ليست مشكلة نظرية بل هي في المحل الأول مشكلة علمية، إن صح التعبير تقوم على الممارسة أكثر من قيامها على التفكير المجرد، ذلك لأن الفيلسوف المعاصر أدرك وجوده الإنساني من خلال الفعل، أي أنه أراد أن ينقلها دفعة واحدة إلى معترك الحياة و الواقع الفعلي، " أنه يقول لنا أن الإنسان لا يشعر حقا بوجوده إلا على أرض الواقع، في قلب الصداع بين ظواهره ومن خلال الاحتكاك بالإرادات البشرية المختلفة".

لا شك أن هذا الصورة التي يقدمها الفيلسوف للوجود الإنساني مختلف أتم الاختلاف عن الصورة الماضية، وهي صورة جديدة ترتبط بمواقف الإنسان الحية واختراقه للحواجز وتحطيمه للعقبات التي تظهر له من خلال التعامل البشري، ولذلك فهي صورة ارتبطت بممارسة الفعل الحر وبالظروف النفسية و الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي لا يستطيع بأي حال من الأحوال أن نعزل الفرد عنها، وعلى هذا النحو اتجهت الفلسفة المعاصرة في بحثها عن الحرية إلى الفعل ولم تبحث عن الحرية في زمان ما قبل الفعل، أو قد أدى بهم بحثهم في بعض الأحيان، إلى أن تناولها خارج حدود الزمان كله جاءت الفلسفة المعاصرة فبحثت في الحرية في زمان الفعل أثناء ممارسة الفعل وبذلك فإن الحرية فكرة من أفكار العقل الخالص ولا سبيل إلى البرهان عليها في عالم الحياة الإنسانية الواقعية

المبحث الثالث : مفهوم الحرية عند اريك فروم

فرق فروم بين التحرر من الحرية السلبية والحرية الإيجابية الأول يشير إلى التحرر من القيود مثل المناسبات الاجتماعية المفروضة على الفرد قبل أفراد آخرين ومنشآت مختلفة

هذا النوع من الحرية يتمثل في الوجودية التي تحدث عنها سارتر فخضعت للجدل تاريخيا لكن بالنسبة لفروم، هذا النوع من الحرية قد يكون عامل هدم إلا إذا دمج بعنصر إبداعي بمعني الحرية في استخدام الحرية لتفعيل الشخصية المتكاملة الشاملة تلقائيا في الأعمال الخلاقة، ويزعم فروم بأن ذلك حتما يشير إلى ترابط حقيقي معالرجل يوطد نفسه مرة آخر من العالم ... خلال عملية التحرر من هيمنة السلطة و السائد من القيم، فروم يزعم بأننا غالبا بعد ذلك تشعر بالفراخ والحصار ويقارب هنا بين عملية التحرر ومرحلة فطام الرضع في الطفولة وهذا الإحساس أن ينحصر حتى تستخدم جانب الحرية الإيجابي وتعمل على تطوير نظام بديل للنظام القديم غير أن البديل الشائع لممارسة الحرية الإيجابية "الحرية" لأجل أو الموثوقية يتم عن طريق نظام مستبد يستبدل النظام القديم بأخر مختلف في الشكل الخارجي لكن متطابق داخليا مع القديم عن طريق الغاء الربية والتشكك برسم حود مقيدة للتفكير والتصرفات يصف فروم هذه العملية على أنها عملية جدلية تاريخية يسمى من خلالها الوضع الأصلي بالفرضية أو التحرر منه بالنقيض، هذه النقيض يحصل فقط عندما يتم استبدال النظام الأصلي ومنع الناس مستوي جنب من الأمن، فروم مع ذلك لم يشير إلى أن النظام الجديد قد يكون بالضرورة تطوري وانتمائي

المبحث الرابع : الخوف من الحرية والتحليل النفسي للشخصية عند ايريك فروم

شغل الفلاسفة بالخوف في جميع الحضارات الإنسانية وتنوعت عندهم دوافع وأسباب الخوف؛ الخوف من ظواهر الطبيعة الشريرة ومن هنا كانت الإضاحي والقرابين الخوف من الموت ومن هنا كثرت الرسائل التي تدور حول دفع الغم والحيلة في دفع الأحزان لدى جالينوس والكندى وابن سينا وغيرهم، وكان الخوف هو الدافع لنشأة الدين كما أظهر فويريا وفرويد وتعددت التطيلات الميتافيزيقية والنفسية والاجتماعية لمصدر الخوف.

ونتوقف في هذه الدراسة عند تحليل الفيلسوف وعالم النفس والاجتماع أريك فروم لظاهرة حديثة ترتبط بحياة الإنسان المعاصر في حياته الاجتماعية والسياسية وهى ما أسماها وجعل منها عنواناً لأحد أهم كتاباته الخوف من الحرية، والذى يوضح لنا فيه الجذور النفسية والاجتماعية للشخصية الخاضعة والشخصية التسلطية، انطلاقاً مما عرف في التحليل النفسى بالسادية والمازوكية. حيث انتقل في تحليلاته من التحليل النفسي الفرويدي إلى التحليل الاجتماعي الماركسي ليوضح لنا لماذا يخشى ويهرب البعض من الحرية التي يحارب ويموت من أجلها الآخرين.

أن هدف كتاب أريك فروم هو تحليل تلك العوامل الدينامية في طابع نسيج الإنسان الحديث التي جعلته يرغب في الكف عن الحرية في الدول الفاشية والذي يسود على نحو متسع عند ملايون من شعبنا ، ويطرح علينا تلك الأسئلة البارزة التي تنشأ عندما نتطلع إلى الجانب الإنساني للحرية والشوق للخضوع وشهوة القوة. ما هي العوامل الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع التي تتسبب في الشوق إلى الحرية؟ هل يمكن أن تصبح الحرية عيناً لدرجة لا يستطيع أن يتحمله الفرد ويحاول أن يتخلص منه؟

ولماذا إذن تكون الحرية للعديدين هدفاً منشوداً وللآخرين تهديداً، وتستوقفنا عبارته الدالة: أن هناك في المانيا توجد ملايين شغوفة بأن تسلم حريتها بالقدر نفسه الذي كان أياء هذه الملايين يقاتلون من أجلها، وأنهم يدل إن يريدوا الحرية بحثوا عن الطريق للهرب منها، وأن هناك ملايين أخرى غير مكترثة ولا تؤمن بأن الدفاع عن الحرية جدير بالقتال من أجله.

وقد يرى البعض منا أن هذه العبارة التي تصف ألمانيا في الثلاثينيات أصدق ما تكون علينا نحن منذ عقود أربعة مضت أو يزيد، وقد يرى غيرهم غير ذلك لكنهم معنا سوف يتوقفون أمام عبارته التالية التي ينقلها عن كتاب جون ديوى "الحرية والثقافة ويقول فيها: أن التهديد الخطير الذي يواجه ديمقراطيتنا ليس هو وجود دول تسلطية شمولية خارجية، بل أنه الوجود داخل مواقفنا الشخصية وداخل مؤسساتنا هو الذي يعطى انتصاراً للسلطة الخارجية والنظام والهيمنة والاعتماد على الزعيم، ومن ثم فإن ساحة المعركة هي هنا – داخل أنفسنا ومؤسساتنا وهى عبارة كما تصدق على الولايات المتحدة وعلى ألمانيا على غيرها من بلدان وتصدق على بلداننا أيضاً وعلى ما يسمى تجاوزاً مؤسساتنا.

من الواضح أن تقهقراً حدث في الحضارة البشرية، وهذا ما يرصده فروم في بداية كتابه، حيث إن مبادئ الليبرالية الاقتصادية والديمقراطية السياسية والاعتناق الديني الذاتي والنزعة الفردية في الحياة الشخصية التي تعبر عن الشوق للحرية، ويبدو في الوقت نفسه إنها تقرب البشرية أكثر من تحقق الحرية سرعان ما ظهرت أنظمة جديدة تتشكر لكل شئ يؤمن البشر بأنهم كسبوه خلال قرون الصراع، وذلك لأن جوهر هذه الأنظمة الجديدة التي تتولى قيادة الحياة الاجتماعية والشخصية الكلية للإنسان هو خضوع الكل فيما عدا حفنة من الناس تتمتع بسلطة لا يتحكمون فيها" ومن هذا التشخيص يتضح لنا هدف ومنهج فروم في كتابه، الذي يأتي كما يظهر لنا في إطار طموح علمى إلى دراسة أكبر تعالج الطابع المميز لنسيج الإنسان الحديث والمشكلات الخاصة بالتفاعل بين العوامل النفسية والاجتماعية، إلا أن العمل الذي نحن بصدده يتوقف عند أحد جوانب الأزمة الحضارية للإنسان في عصرنا، إلا وهو معنى الحرية بالنسبة للإنسان في حضارتنا حيث أن معنى

الحرية لا يمكن أن يفهم فهماً كاملاً إلا على أساس تحليل الطابع الكلى لمكون الإنسان الحديث .

ويلاحظ فروم أن السلطة بدل من أن تختفى قد جعلت نفسها خفية، فبدلاً من السلطة الواضحة تسود السلطة المجهولة. ويبدو أنها لا تستخدم أي ضغط بل الإغراء المعتدل، أن الصفة المشتركة في كل التفكير التسلطي هو القناعة بأن الحياة محددة يقوى خارج نفس الإنسان وخارج مصلحته ورغباته، وتكمن السعادةالاالوحيدة الممكنة في الخضوع لتلك القوى وعجز الإنسان هو اللحن الأساسي في الفلسفة المازوكية .

٢ – النزعة التدميرية

والميكانيزم الثاني للهروب من الحرية هو التدميرية أن هدف التكميرية هو استصال موضوعها،أنها كامنة في عدم القدرة على تحمل العجز والعزلة الفردية. فأنا أستطيع أن أهرب من الشعور بعجزى إزاء العالم، الذي هو خارجي بتدميره، والدواقع التدميرية هي هوى في داخل الشخص، وهي تنجح دائماً أن تجد موضوعاً فإذا لم يستطع الأشخاص الآخرون أن يصبحوا موضوع تدميرية الفرد لأي سبب كان فإن نفسه تصبح بسهولة الموضوع التدميرية هي نتاج الحياة غير المعايشة. أن تلك الظروف الفردية والاجتماعية التي تسهم في كبح الحياة تنتج انفعالاً للتدمير يشكل خزاناً تتغذى منه الميول العدوانية الخاصة إما ضد الآخرين أو ضد النفس. وتعد التدميرية لدى الطبقة الوسطى الدنيا عند ايريك فروم عاملاها ما في نشأة النازية التي استجابت لهذه النزعات التدميرية واستخدمتها في المعركة ضد أعدائها.امتثال الإنسان الآلي يتغلب الفرد في الميكانيزمات السابقة على الشعور باللامعنى بالمقارنة مع القوة المهيمنة للعالم الخارجي إما عن طريق التنازل عن تكامله الفردي أو عن طريق تدمير الآخرين، وذلك حتى يكف العالم عن توجيه التهديد أو الانسحاب من العالم بدرجة كاملة حتى أن العالم يفقد تهديده وتتضخم النفس سيكولوجيا لدرجة تجعل العالم الخارجى يصبح صغيراً. وبالرغم من أن هذه الميكانيزمات للهرب مهمة بالنسبة لعلم النفس الفردي إلا أن أهميتها العامة الاجتماعية والسياسية أهمية ثانوية لذا يتوقف فروم أمام ميكانيزم آخر أكثر أهمية من الناحية الاجتماعية هو ما يطلق عليه امتثال الإنسان الآلي، يكف الفرد في هذا الميكانيزم عن أن يصبح نفسه، حيث يعتنق نوع من الشخصية المقدم له من جانب النماذج الحضارية، حيث يصبح مثل الآخرين، وكما يتوقعون منه إن يكون هنا الهوة بين الأنا" والعالم تختفي ويختفي معها الخوف الشعوري

بالوحدة والعجز والشخص الذي يتنازل عن نفسه الفردية ويصبح آلة متطابقاً مع ملايين الآخرين من الآلات المحيطة به لا يحتاج إلى أن يشعر بأنه وحده وقلق.

لقد أوضح فروم أن هذا العجز يفضي إلى نوع من الهروب نجده في الشخصية التسلطية أو يفضي إلى تطابق اضطراري في العملية التي يصبح فيها الفرد المنعزل آلة ويفقد نفسه وفي الوقت نفسه يتصور نفسه شعورياً أنه حر ولا يخضع إلا لنفسه وعلى هذا يطرح السؤال عن معنى حرية الإنسان الحديث. وفي نقاط محددة تستطيع أن نفهم وضعية الإنسان الحديث هي:

عجز الفرد المنعزل الذي أصبح متحرراً من جميع الروابط التي كانت تعطى معنى للحياة وأمناً.

– الفرد لا يستطيع أن يتحمل هذه العزلة، فهو كائن منعزل عاجز تماماً بالمقارنة مع العالم خارجه ومن ثم فهو خائف منه حتى الأعماق.

وبسبب عزلته فإن وحدة العالم قد تخطت بالنسبة له وفقد كل نقطة توجيه، لهذا قهرته الشكوك حول نفسه ومعنى الحياة وأى مبدأ يستطيع به أن يوجه أفعاله.

أن اليأس والشك أشلا الحياة والإنسان لكي يحيا حاول أن يهرب من الحرية، ولقد أنساق إلى قيد جديد، مختلف عن الروابط الأولية.

والهروب لم يستعد له أمانه المفقود وكل ما ساعده به هو نسيان نفسه كتاتية مستقلة، أختار أن يفقد نفسه لأنه لا يستطيع أن يتحمل أن يعيش وحيداً، وهكذا فالحرية من أفضت به إلى قيد جديد.

إن مستقبل الديمقراطية إنما يتوقف على تحقق النزعة الفردية التي ظلت الهدف الأيديولوجي للفكر الحديث منذ عصر النهضة، إن الأزمة الحضارية والسياسية في أيامنا هذه لا ترجع إلى أن هناك إفراطاً في النزعة الفردية بل ترجع كما يقول إلى ما نعتقد أنه نزعة فردية قد أصبح قوقعة فارغة. إن انتصار الحرية ليس ممكناً إلا إذا تطورت الديمقراطية إلى مجتمع فيه يكون نمو وسعادة الفرد هما هدف وغرض الحضارة، وفيه لا تحتاج الحياة إلى تبرير للنجاح أو أى شئ آخر، وفيه لا يكون الفرد تابعاً ومستغلاً من جانب أي قوة خارجية سواء كانت الدولة أو الجهاز الاقتصادي.

المستخلص

الحرية مصدر من حر وهو نقيض العبد وتعني الحرية ايضا النقاء والخلوص من كل عوالق وشوائد واتخذت فكرة الحرية معاني شديده الاختلاف علي مدي التاريخ الفكر البشري وفي الاسلام اثيرت مشكله الحرية الارادية والجبر وقد اهتم اللاهوتين في القرنين السادس عشر والسابع عشر بمشكله حريه الاراده اهتماما خاصا ووفقا لكل هذا فان الله هو وحده حر وفرق فروم بين التحرر من الحرية السلبية والحرية الايجابية ان مشكله الحرية مشكله اجتماعية ومن هذا التشخيص يتضح لنا هدف ومنهج فروم في كتابه الذي ياتي كما يظهر لنا في اطار طموح علمي الي دراسة اكبر تعالج الطابع المميز للنسيج الانسان الحديث والمشكلات الخاصة بالتفاعل بين العوامل النفسية والاجتماعية

وهنا تتجلي اهميه الدراسة ف الاطلاع علي هذه المشاريع الاخلاقية الانسانية لعلها تسهم في حل مشكله ازمه القيم المعاصرة كما تكمن في معالجه ظواهر سيكولوجية اجتماعية هامه في عصرنا الحالي

Abstract

Freedom is a source of freedom, and it is the opposite of a slave. Freedom also means purity and liberation from all plankton and impurities. The idea of freedom has taken on very different meanings throughout history, human thought. In Islam, the problem of voluntary freedom and coercion was raised. Theologians in the sixteenth and seventeenth centuries paid special attention to the problem of free will, according to each This is because God is the only free and fromm difference between liberation from negative freedom and positive freedom that the problem of freedom is a social problem

From this diagnosis, it becomes clear to us the goal and approach of Fromm in his book, which comes as it appears to us within the framework of a scientific ambition to a larger study that deals with the distinctive character of the tissue of modern humans and problems related to the interaction between psychological and social factors

Here, the importance of the study is evident in the knowledge of these human moral projects, perhaps they contribute to solving the problem of the contemporary values crisis.

It also lies in addressing important social and psychological phenomena in our current era.

المراجع

(١) جميل صليبا : المعجم الفلسفي بالالفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت (لبنان)، 1403 هـ ، ص 461.

(٢) حربي عباس عطتو : مبادئ الفلسفة، دار المعرفية الجامعية، ٢٠٠٧ ، ص ٢٨١

(3) حربي عباس عطيتو : مبادئ الفلسفة، ص ٢٨١ ، ٢٨٢

(٢) حسام معني الدين الألوسي : في الحرية مقاربات نظرية وتطبيقية، دار النهضة العربية بيروت (لبنان)، طى ٢٠١٠ .

(٣) عبدالله العروي : مفهوم الحرية مقاربات نظرية وتطبيقية، بيروت، دار النهضة العربية، ط1، ٢٠١٠، ص٧.

(٤) الجرجاني : معجم التعريفات قاموس المصطلحات، وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة، تحقيق محمد صديق المنشاوى، دار الفضيلة، ص ١١٦.

(٥) جميل صليبا : المعجم الفلسفي، ص ٤٦٢

(1) إبراهيم مذكور : المعجم الفلسفي مصطفى حسيبة دار اسامة للنشر والتوزيع، ص900

(٣) فرانسوا غريغوار : المشكلات الميتافيزيقية الكبرى تر نهاد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د ، ت ص ١١٠ .

(٤) زكريا إبراهيم : مشكلة الحرية سلسلة مشكلات فلسفية مكتبة مصر القاهرة، (د ، تا) ، ص ٢٠

(٢) ملحم قربان : المنهجية والسياسة، بيروت، المؤسسة الجامعية، ط١، ١٩٩٦، ص ٢٩٣.

(5) فروم ، إريك الحرية في حالة العمل. >>
http://www.erichfromm.de/biophil/en/images/stories/pdf-
.<Dateien/1959f e.pdf

(٦) سقراط : فليسوف وحكيم يوناني كلاسيكي (٣٩٩ ق.م – ٤٦٩ ق.م) يعتبر أحد مؤسسي الفلسفة الغربية لم يترك سقراط كتابات وجل ما تعرفه عنه مستقى من خلال الروايات تلاميذه عنه تعلم أسس الفلسفة على يد بارمنيس من سقراط الذاتي، بل هو من يجعل قانون العالم الإلهي قانونه https://ar.wikipedia.org >>wiki

(1) أمل مبروك : مشكلة الإنسان في الفكر المعاصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ط ٣٠٠٤ ، ص ١٠٣

(١) حربي عباس: مبادئ الفلسفة دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٧ ص ٤٠١-٤٠٢

(2) أمل مبروك : مشكلة الإنسان في الفكر المعاصر ، المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٣) حربي عباس : عطيتو مبادئ الفلسفة المرجع السابق، ص ٤٠٢.